الاتحاد الإسلامي
السلام واجتناب التفرقة والتنازع في العالم الإسلامي

الأخوة الإسلامية ومكافحة الإرهاب

هلال بن حسن بن علي اللواتي[1]

المقدمة :

لا شك أننا لسنا نتغنى بالماضي، بل نأخذ منه العظة العبرة، ونستلهم من ذوي النفوس الطاهرين العابرة للزمان والمكان الدروس والمعارف لإصلاح ما يفسد منا، وعلى هذا فإننا أمام خطين متوازيين، أحدهما يقوم على بناء النفس والأمة على ما ينبغي أن يكون عليه هذا البناء، والآخر هو: ما هو عليه واقع هذه الأمة وهذه البشرية.

والإنسان الرسالي لا شك أنه مخاطب لأداء دوره الرسالي الذي ما هو امتداد لخط الأنبياء والرسل والأوصياء، وفي الوقت نفسه يراعي الواقع ومستواه العقلي والنفسي، مع مراعاة التحديات التي تواجه رسالته وما يحمله من مسؤولية التبليغ، وليس الكلام هنا أن يطوع نفسه للواقع الفاسد إن كان كذلك، أو الواقع إن كان قد خرج عن صراط الاستقامة، بل عليه العمل وفق مقتضيات الرسالية، بمراعاة الفروق الفردية، والتحلي بالبصيرة لوضع القدم حيث ينبغي وضعها، وتجنيب نفسه والرسالة الأسواء، ومن هنا سوف يفتح لدينا باب السؤال المهم:

على ما بنيت الدعوة الرسالية؟، ما هي أهم مهام الفرد الرسالي؟، وما هي العقبات أمام مهمته الرسالية؟، وكيف يمكن تفاديها؟

---

١. سلطنة عمان

فإذا عرفنا ذلك نستطيع أن ندرك جيداً عناصر السلام ما هي، وعلى ما يقوم العدل عليه وبه، وكيف يمكن مواجهة الإرهاب بكل أصنافه وأشكاله، وكيف يمكن تعزيز الأخوة، وكيف يمكن تحقيق الأهداف الرسالية للإمة.

فنقول وباختصار: إن العنصر الوحيد الجامع لكل التعزيزات الإيجابية، وفي الوقت نفسه يحمل عناصر المقاومة لكل ما يخالف الطبيعة الوجودية هو: "التوحيد"، وإعطاء التوحيد حقه من المحورية؛ ومن أصل كل حق لكل شيء على الإطلاق؛ هو الضمان الأكيد لتحقيق الأمة الواحدة، ولتحقيق الامة العزيزة والقوية والعالمة والغنية في كل قدراتها ومكوناتها ومواردها وجوداً واستدامة.

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: أن الجميع موحد لله تعالى، ومع ذلك لا نجد ذلك الانسجام والوحدة.!!

الجواب: إننا لو رجعنا إلى المعارف القرآنية إلى المعارف الإسلامية إلى معارف الثقلين سيتبين لنا أن مسار التوحيد يمشي بصورتين، أحدهما مسار الدخول، إلا أنه أصبح وكأنه هو المسار النهائي.

والآخر مسار التحقق وهو المطلوب لتحقق مقومات النجاح الحضاري،

أما الأول: فهو الذي يقوم على التشهد بالشهادتين، وبه تحقن الدماء والأعراض والأموال، وهذا التوحيد مطلوب وأساسي، إلا أنه غير كاف لتحقيق الحضارة والسلام والعدالة والحقوق، لأن الوحيد المحقق لهذا كله هو: "التوحيد التحققي"، فإذا أرادت الأمة أن تنهض بنفسها، وتقوم في وجه العدو وعلى كل المستويات وتهزمه هزيمة سلام وبصيرة فعليها أن تنهض بنفسها إلى التحقق بـ"التوحيد"، أي أن تلبس لباس التوحيد، أي أن تتحقق باسماء الله وصفاته، والطريق لتحقيق ذلك ما هو إلا: "التقوى"، وليس أي نحو من نحاء التقوى بل التقوى القرآني، عندئذ سوف تتبين لنا مجموعة من المفاهيم ما هي عليه والتي منها:

العدالة فهل تحكمها الأحكام الاعتبارية أم أن احكامها بمقتضى طبيعتها الوجودية، وتفرض أحكامها من الاحتياج الذاتي للكائنات؟، وكذا الحال بالنسبة إلى مفهوم الحقوق؟، وكذا الحال بالنسبة إلى السلام؟

وإننا في زمن انفتاح الجميع على الجميع، الأمر الذي وسع من دوائر المفاهيم الإيجابية والسلبية على حد سواء، قبيل التعايش كصفة إيجابية، ومن قبيل الإرهاب كصفة سلبية، فكان لابد من التعامل مع هذه المفردات وفق متطلبات الطبيعة الإنسانية، وبمقتضيات التوحيد الخالص.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، الاحتياج الذاتي، العزة، الدور التنظيمي والتأسيسي، القيم الأخلاقية، الإنسانية، الأخوة، الإرهاب.

تحديد المعيار الموضوعي

عندما ندخل إلى عالم التعاملات البشرية فإننا نلاحظ غلبة المفاهيم الاعتبارية نشأة ووضعاً، الأمر الذي يضيع على الإنسان بوصلة التقييم والقياس الموضوعيين، فتتغير المعايير بتغير الأفراد وما يلازمها من لوازم التبعية الثقافية والتأسيس، وهذا ما يبرر تغير القوانين الوضعية ـ أي من وضع الإنسان ـ بين فترة وأخرى، وتحتاج إلى تطوير بما يتلائم ومتطلبات العصر، وقد تأثرت الكثير من المفاهيم بالطابع المعرفي والثقافي للعصر، فأصبحت المفاهيم التي اعتادت البشرية سابقاً على جماليتها تصبغ بصبغة العصر الحديث وصارت تفقد رونقها وجمالها، من قبيل: الاخوة، وباتت تأخذ لها مناحٍ أشبه بالخلايا والشللية والمنظمات وتجمعات خاصة، في حين أننا نعلم أن لمفهوم الأخوة مناشئ لا تخضع لاعتبارات الشللية والمنظمات والخلايا وتجمعات خاصة، لأنها ترتبط ببعد قيمي آخر متين، تنتزع مبادؤه من صميم التركيبة الوجودية للإنسان، ويكون دور الإسلام والتوحيد تحديد المسار الصحيح وفق متطلبات تلك التركيبة.

الدور التنظيمي أم الدور التأسيسي:

والذي يميز الدين الإسلامي وما فيه من المفاهيم المتعلقة بالإنسان والكائنات والمحيط هو أن تلكم المفاهيم ليست اعتبارية المنشأ والجعل، بل هي في الحقيقة منتزعة من حاق وجود الشئ واحتياجاته الوجودية، فصار دور الأحكام فيه دور التنظيم للاحتياجات التي نشأت من طبيعة ذات الشئ وقت نشوئه وصناعته وخِلقته.

وأما القوانين البشرية وما تضعها بينها فإنها ناشئة من تجربتها وخبراتها، واعتمدت ثقافتها ورؤيتها في وضع وتحديد بنودها الأمر الذي أفقدها الموضوعية والإنصاف في نفسها، وهو أثر في مصادقية العدالة فيها، لأنها فقدت بذلك مبدأ إعطاء كل ذي حق حقه، حيث أن ما ترتئيها تلكم القوانين من حق تدونه وتطالب بتطبيقه، فكان لازمه التغير في القوانين وتحديد الحقوق في كل فترة تمر بها البشرية، غير مهتمة بما ارتكبته في فترتها التي سبقت التغير من تطبيقات على خلاف الفترة اللاحقة، ومن أن ترمش لها العين إن هي ارتكبت أبشع الممارسات ضد الأفراد والجماعات ولعل أنسب وصف يمكن أن تبرر لنفسها هو ما يُتعارف في عرف الطب بـ"الخطأ الطبي"، محاولاً لتخفيف وطء النقد والمؤاخذة العرفية والقانونية، وما تزال البشرية تعيش هذه الأزمة، أجل إنها أزمة الجهل بالاحتياج الذاتي أصلاً، ولازمه تطبيقاً.

ومن الطبيعي أن يحدث كل هذا لأن المتعمد لدى البشرية هو رؤيتها وثقافتها وتجربتها، وكل هذا محدود بحدود الإطار المعرفي الذي لديها للوجود والموجودات.

ثمرة هذه الحقيقة:

فإن الدور التنظيمي هو في الحقيقة إنتزاع الأحكام من حاق الموجود، ومن ثم التعامل مع وفق متطلباته واحتياجاته الناشئة من صميم تركيبته الوجودية، وهذا يوفر مناخ الموضوعية والانصاف، ولا يكون في ساحته أي ظلم ولا إجحاف، وأما الدور التأسيسي مع لحاظ الجهل بالاحتياج الذاتي وتفاصيله يضع كل حكم وقانون بشري موضع عدم الموضوعية وعدم الانصاف، وهذا يساوق الظلم، ولازمه فقدان الحقوق والعدالة.

القيم الأخلاقية

وهنا نحن أمام مسألة مهمة جداً وهي: هل القيم الأخلاقية مطلوبة لذاتها؟، هل الإنسانية مطلوبة لذاتها؟

وقد يرد تساؤل آخر متقدم رتبة مفاده: هل يمكن تحقق القيم الأخلاقية من تخلل محورها القيمي الوجودي؟!، وكذا يرد ذات السؤال على الإنسانية؟.!

ومن هنا سوف يرد هذا التساؤل: وما هو هذا المحور القيمي الوجودي الذي منه تستمد

الأخلاق والإنسانية قيمتها ومكانتها، بل ولا يمكن التحقق بالأخلاق والفضيلة والإنسانية إذا لم يتحقق في الإنسان ذلك المحور القيمي.

الجواب على ذلك هو: إن المحور القيمي الوجودي ليس إلا "التوحيد"، ليس إلا "الله" تبارك وتعالى.

فهل يمكن أن تتحقق الأخلاق بما هي هي من دون "التوجيد الخالص"؟، وهل يمكن أن تتحقق الإنسانية بما هي هي من دون "التوحيد الخالص"؟.!

الجواب: إن قافلة الوجود كلها تسير إلى الله تبارك وتعالى، ولا معنى لخروج الأخلاق والإنسانية عنها، لتصبحا في موقع لا يلزم فيهما تخلل التوحيد من أصل، فإن قواعد الصراط المستقيم تلحقها، فلا يمكن فصلها عن التوحيد الخالص، وفصلها يعني عدم التحقق للأخلاق والإنسانية من أصل، ولعل بداهة ضرورة تخلل التقوى في كل شيء من القيم والأخلاق والفكر والسلوك والعقيدة وغير ذلك خير دليل على عدم استثناء الاخلاق والإنسانية عن التوحيد الخالص، وذلك لأن التركيبة البنيوية لمفهوم التقوى يحوي على ملاحظ الله تعالى وجانبه في كل ما يقوم به الإنسان ويخطو فيه، فالاتصاف بصفة الفضيلة يتطلب في تحققها في النفس إلى تحقق التقوى، وكذا الحال بالنسبة إلى الإنسانية.

ومن هنا تتضح لنا ملامح مفهوم "الاخوة الإسلامية،" وحقيقتها، فهل يمكن أن نتصور تحقق "الاخوة الإسلامية من دون تحقق التوحيد الخالص في الإنسان؟، فهذا الأمر يحتاج توضيحه بشكل واضح وصريح، لأنه على هذا سوف تترتب مجموعة من الآثار والثمار العملية في حياة الإنسان المسلم والمؤمن الفردية والاجتماعية.

أهمية التحقق بالتوحيد الخالص:

إن أهمية تخلل التوحيد في وجدان وشخصية الإنسان المسلم والمؤمن واضحة جداً، لأن التوحيد إذا ما تخلل في شخصية الإنسان المسلم والمؤمن، وأصبح الله تعالى هو الهدف الغاية العظمى لهما، فإن هذا يعني تحقق الضمان الأكيد لتحقق مجموعة من المفاهيم الإيجابية الجميلة، ويتضمن ايضاً الضمان الأكيد لتحقق الأخوة الإسلامية الحقيقية التي تتضمن على الأخوة الإسلامية الحقيقية،

مكافحة الإرهاب ومواجهته بالتوحيد الخالص

وعندما يتحقق التوحيد الخالص في الإنسان فإنه يصبح مخلوقاً غير ممكن الاختراق، وغير قابل للضعف أو المداهنة، بل سيصبح هو القوي لأنه يبدأ يستمد القوة الحقيقية من القوي المطلق إذ لا قوي في الوجود سواه، وكذا الحال بالنسبة إلى العزة، والغنى، والعلم، وسائر الكمالات الوجودية، وهذا يعني أن من يعتز بعزة الله تعالى لا يذل، وكيف يذل من يستمد العزة ممن هو العزيز لا سواه في الوجود كله؟.

مشروع تأصيل التوحيد في الأمة:

ونحن عندما نتحدث عن الأخوة الإسلامية فإننا لا نفكر فيها كعنوان إجرائي عرفي، بل نتحدث عن حقيقية الأخوة الإسلامية التي بها يتمكن الإنسان إبراز العزة الإلهية فيها، والتي تحمل في الوقت نفسه المواجهة والمكافحة للإرهاب.

ولهذا ينبغي العمل على تاصيل التوحيد الخالص في الأمة كي تصبح أمة قادرة على المواجهة الحقيقة للإرهاب، وعلى مكافحته، وعلى التحقق بالعزة الحقيقية، إذ لا يمكن التحقق بالعزة الحقيقية ولا بالقوة الحقيقية إلا بالتوحيد الخالص.

إن المقتضى الطبيعي للأخوة التوحيدية الإيمانية أن تربط الأطراف جميعاً لحمة واحدة، وتجعلها درعاً حصيناً يمنع اختراق حدوده، وهذه تتشكل كأمر لازم لشخصية المؤمن تظهر في صفاته وعلاقاته مع المؤمنين، لنتأمل في هذه الرواية الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين: "ألا وإن المؤمنين إذا تحابا في الله عز وجل وتصافيا في الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً وجد الآخر ألم ذلك الموضع."

فتأملوا في "تحابا في الله"، وهذا القيد هو الذي يحقق الرابطة القوية الحقيقية بين الأخوة، لأنها تقوم على أسس متينية التي تقوم عليها الكائنات والوجود.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: من لم تكن مودته في الله فاحذره، فإن مودته لئيمة، وصحبته مشومة[1].

---

١. غرر الحكم و درر الكلم (التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد (جلد ١، صفحه: ٦٥٢)

وورد عنه صلى الله عليه وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين أيضاً: "إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد[١].

وورد أيضاً: المؤمنون إخوة، تتكافى دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم[٢].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: "أحبب الأخوان على قدر التقوى[٣] ، والتركيبة البنيوية لمفهوم التقوى تقوم على أساس التوحيد العملي التحققي.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:"مودة أبناء الدنيا تزول لأدنى عارض يعرض[٤].

التربية التوحيدية:

ومن هنا تأتي أهمية وضع مناهج تقوم على أساس التوحيد، وتربي الأجيال على التوحيد الخالص علماً وعملاً لكي تنتج الأخوة الإيمانية الحقيقية القائمة على التوحيد وبهذه التربية يستطيع المرء أن يقطع دابر الارهاب بكل أصنافه وأشكاله ولونه، لأنه يقضي حينئذ على منابعه.

ختاماً ..

من المهم الالتفات إلى أن التحقق بالتوحيد يجذب الكائنات من أصغر جزء في الذرة إلى أعظم مجرة إلى الموحد الخالص، وهي تصبح جنداً للانتصار على الارهاب.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين

هلال بن حسن بن علي اللواتي

سلطنة عمان

الحديث عن آية الله الشيخ التسخيري قدس الله روحه

رجل عاش فترة عصيبة، وعاصر أحلك الظروف والشخصيات، ودخل في مختلف الميادين، فصقلت شخصيته بفكر خاص، وبنظرة شمولية استطاع من خلالها التعامل مع

---

١. النوادر/الراوندي: ٨

٢. الخصال/الشيخ الصدوق: ١٥٠

٣. مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)/ الميرجهاني: ٢: ١٦٦

٤. عيون الحكم والمواعظ/علي بن محمد الواسطي: ٤٨٧

أصعب الظروف المحيطة بالمجتمع والمؤسسات الصغيرة والكبيرة إلى الدولية.

كان هذا الرجل مخلصاً لقضيته التي كان يسعى دائما وأبداً في تحقيقها، وكان يبذل الكثير من جهد ووقت وعلى حساب صحته، وتحمل ممن لم يفهمه تحامله وسخطه.

أجل إنه رجل غاب عن الأمة وغابت الامة عنه.

إن الوحدة الإسلامية وما تواجهه من العقبات والمؤامرات للقضاء عليها كان كل ذلك نصب عينيه، وكان يعي العدو اللدود كيف يعمل وكيف يفكر، ولهذا كان يتعامل مع القضية وما يحيط بها بعقل واع، وبذهنية صافية، وباستراتيجية راقية تمكنه من خلال هذا سبق العدو ومخططاته بخطوات كثيرة.

ولكن رحيله لا يعني توقف المسيرة، بل إنها سلسلة من العطاءات الجميلة في سبيل إعلاء كلمة التوحيد في العالم.

ومما يؤسف له أن هذه التجربة العريقة الثرية قد رحلت معه، فيا ليت أن تكتب تجاربه بالقدر المتوفر، كي يطلع عليها الجيل فيستفيد منها ما يمكن أن يصلح لمرحلته.

والحمد لله رب العالمين.

iuc.taqrib.ir